[٣]

« من أين جاؤوا بكل تلك النياشين ...؟! »

كبرت المسؤولية ، وكبرت يده ... لقد أصبحت اكبر من الجمرة ... واكبر من قدح الشاي ... واكبر حتى من الصينية التي كان يحملها ...

كان يسمع من الفلاحين في « دورا » ومن بعض المدرسين وكأنه الهمس ، ان هناك مجموعة من الفلسطينيين ، قد أطلقت رصاصا ، وأصدرت بلاغا ، وأعلنت ثورة ...

الفلاحون الذين ضربوا بكعوب البنادق ، وملأت أفواههم حبال الكرابيج المصنوعة من أسلاك التليفون ، أحس باجس أبو عطوان ، بفرحهم العفوي ، وبومضات عيونهم تخترق وجهه ، وهم يهمسون بأخبار تلك المجموعة ، التي اطلقت وأصدرت البلاغ وأعلنت الثورة .

ـــ انه رصاص فلسطيني ...

كانوا يقولون هذا ، وهم يغرسون عيونهم في الارض ... كأن الارض توشك أن تمطر ...

أما بعض المدرسين ، فلقد كان يسأل عن هوية أولئك الفلسطينيين ، كان يسأل عن أسمائهم وبطاقاتهم السياسية ...؟

ولجأ « باجس ابو عطوان » الى « أبو علي » ، راعي الغنم ... وكان « أبو علي » ، قد سمع هو الاخر ، بأخبار البلاغ الاول الذي صدر في أول يناير ١٩٦٥ ... ، وخبر الرصاصة الاولى ... ونظر « أبو علي » ، طويلا في عيني « باجس ابو عطوان » ، قبل أن يقول وهو يضحك :

ـــ لقد أصبحت أنادي عليهم ، بهذه الشبابة كدليلة ، وسوف يأتون على صوت هذه الشبابة ، وعندها ، سوف تتعرف عليهم ...

غير انه كان على « باجس ابو عطوان » ، ان يحمل البندقية المرخصة ، قبل ان يلقي بها ... ويستبدلها ببندقية غير مرخصة ، وهكذا التحق كجندي بالجيش الاردني ... مستجيبا لتوصية ونصيحة احد اقربائه ... الذي وعده بأن يدخله دورة المرشحين ... في الجيش ... وحينما يحين وقت انعقاد الدورة ...

وبدأ « باجس أبو عطوان » ، يمارس أسلوبا جديدا من الحياة ... وكان يلاحظ وسط الدهشة الكبيرة ـــ ضباطا كبارا ، قد طرزوا ، صدورهم بالنياشين ... وما أكثر ما كان يسأل نفسه ، قبل ان يغمض عينيه ، من فرط التعب ، بعد ساعات التدريب الطويلة :

ـــ من أين حصلوا ، على كل هذه النياشين ، التي تطرز صدورهم ...؟ وفي أية معركة ...؟... وبعد اي انتصار ...

اذا كانت بعض اوراق التاريخ تكذب ... واذا كانت بعض الاوراق قد زورت ، فباجس أبو عطوان ، يعرف جيدا ، ان كل المعارك التي خاضها اولئك الضباط الكبار ... كانت معارك خاسرة ... وانتصر فيها العدو لمائة سبب وسبب ، فمن اين حصلوا على كل هذه النياشين ...؟

حين سأل باجس أبو عطوان بعض اصدقائه المجندين ، عن كيفية حصول اولئك